مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي

إعداد
الدكتور / مفرح بن سليمان بن عبد الله القوسي

ضوابط الحوار
في الفكر الإسلامي

ح مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ١٤٢٩هـ .
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .
القوسي، مفرح بن سليمان
ظوابط الحوار في الفكر الإسلامي، / مفرح بن سليمان القوسي
الرياض ١٤٢٩هـ
٧٨ ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٣-٢-٩٠٠٠٧-٦٠٣-٩٧٨
١- الفكر الإسلامي ٢- الحوار بين الأديان أ- العنوان
ديوي : ٢١٤,٠٨ ١٤٢٩/١٣٧٤

رقم الإيداع: ١٣٧٤/ ١٤٢٩
ردمك: ٣-٢-٩٠٠٠٧-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني
الرياض - ص.ب:
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي

إعـداد

الدكتور/ مفرح بن سليمان بن عبد الله القوسي

أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

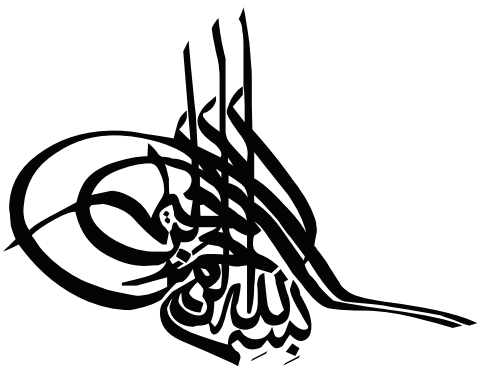

المحتويات

الموضـــــوع **رقم الصفحة**

المقـــدمـــة

أهمية موضوع البحث ٧

خطة الكتاب: ٩

منهج الكتاب: ٩

التمهيـــد

أولاً: التعريف بمصطلحات الكتاب الأساسية: ١١

١ - الضوابط: ١١

٢ - الحـــوار: ١٢

٣ - الفكر الإسلامي: ١٤

ثانياً: لمحة موجزة عن أهمية الحوار وضروراته: ١٥

الفصل الأول

قواعد الحوار وأصوله في الفكر الإسلامي

أولاً: إخلاص النية لله تعالى: ٢١

ثانياً: العلم: ٢٢

ثالثاً: الاعتراف بالآخر واحترامه: ٢٤
رابعاً: التجرد لطلب الحق: ٢٦
خامساً: تحديد موضوع الحوار وهدفه: ٢٨
سادساً: الاتفاق على أصول مرجعية للحوار: ٣٠
سابعاً: الانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق: ٣١
ثامناً: عدم التناقض: ٣٣
تاسعاً: سلوك الطرق العلمية والتزامها: ٣٤

الفصل الثاني
قيم الحوار وآدابه في الفكر الإسلامي

أولاً: الرفق واللين: ٣٩
ثانياً: عفة اللسان: ٤٤
ثالثاً: الهدوء والسكينة: ٤٨
رابعاً: اجتناب رفع الصوت: ٤٩
خامساً: حسن الاستماع والفهم: ٥٠
سادساً: اجتناب المراء والجدل: ٥٥
سابعاً: التواضع: ٥٧
ثامناً: الصدق: ٥٩
تاسعاً: الأمانة: ٦٠
الخاتمة ٦٣
المصادر والمراجع ٦٥

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يمثل الحوار قاعدة أساسية ومنهجية من قواعد الدعوة الإسلامية التي يعود تاريخها إلى اللحظة الأولى لانطلاق رسالة الإسلام. وقد تم بناء هذه القاعدة وتأصيلها بدءاً بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العَلق: ١]، ومروراً بقوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النّحل: ١٢٥]، وانتهاء بقوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١].

وقد سجل القرآن الكريم وسجلت السنة النبوية نماذج للحوار بمختلف مستوياته وأساليبه؛ ليعلم الناس جميعاً بأن هذا الدين إنما تبنى دعوته على الاقتناع والبينة والحجة العقلية، ولا مجال فيه أبداً للقسر والإكراه. يقول تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

وإذا كان الحوار ضرورياً في مرحلة الدعوة المكية والمدنية وما تلاهما، فهو اليوم أشد ضرورة وأكثر أهمية في ظل معطيات حضارية عدة، منها:

١ - ثورة الاتصالات الحديثة وتقنية المعلومات التي تُبث عبر أجواء مشحونة بالاضطراب وافتعال الصراع ونشر ثقافة القوة.

٢ - ظهور الإيديولوجيات الفكرية العقدية، ومحاولة توظيفها لخدمة أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية.

٣ - انتشار فكرة العالمية، وإحساس الدول بارتباط مصيرها بالأجزاء الأخرى من العالم، وارتباط الأفراد والمجتمعات في هذه الدول بمصالح مشتركة.

فالمسلمون تحت طائلة المسؤولية الدنيوية والأخروية مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى بإحياء ثقافة الحوار ونشر ثقافة الإسلام ومبادئه، تلك الثقافة التي تمثل قوة في المبادئ والقيم والفكر الأصيل، لتكون قوة الثقافة في مواجهة ثقافة القوة المهيمنة على الحضارة المعاصرة.

والواجب الحضاري المتحدث عنه إنما يمثل واجب الوقت، الذي يستلزم الالتزام بالشروط والقيام بالأركان وإزالة الموانع؛ ليتم الحكم على الفعل الحضاري بالصحة والإجزاء والفاعلية.

ومن هنا وقياماً ببعض الواجب رغبت في إعداد هذا الكتاب، وذلك للإسهام المتواضع في تسليط الضوء على ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي بما يتلاءم والتقدم الحضاري والثقافي الذي يعيشه عالمنا المعاصر.

خطة الكتاب:

يتكون الكتاب من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على بيان أهمية موضوع الكتاب، وخطته، ومنهجه.

وأما التمهيد: فيشتمل على أمرين :

الأول : التعريف بمصطلحات الكتاب الأساسية.

الثاني : لمحة موجزة عن أهمية الحوار وضروراته.

وأما الفصل الأول: فهو في قواعد الحوار وأصوله في الفكر الإسلامي.

وأما الفصل الثاني: فهو في قيم الحوار وآدابه في الفكر الإسلامي.

وأما الخاتمة: ففيها رصد لأبرز توصيات البحث.

منهج الكتاب:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج التأصيلي في إعداده، وذلك بإقامة دراسة مسائل البحث على ما ورد بشأنها من نصوص شرعية في الكتاب والسنة، وعلى فهم علماء الإسلام ومفكريه لهذه النصوص وتطبيقاتهم لها.

مع العناية بما يأتي:

١ - الرجوع إلى المصادر الأصلية لموضوع البحث.

٢ - اعتماد أسلوب السهولة واليسر في طرح أفكار البحث وعرضها ومعالجة مسائله، واجتناب الإسهاب والإطالة وغموض العبارة.

٣ - التزام الأمانة العلمية في العزو والاقتباس والنقل.

٤ - ترقيم الآيات القرآنية وبيان سورها.

٥ - تخريج الأحاديث النبوية وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها، إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كان كذلك اكتفيت حينئذ بتخريجهما.

٦ - العناية بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم.

٧ - تزويد الكتاب بقائمة المحتويات، وقائمة المصادر والمراجع.

وبعد: هذا ما تيسر لي إعداده في هذا الكتاب، الذي أسأل الله عز وجل أن أكون وفقت فيه للحق والصواب والسداد.

والحمد لله رب العالمين.

التمهيـــد

أولاً: التعريف بمصطلحات الكتاب الأساسية:

لدينا في الكتاب بموجب عنوانه ثلاثة مصطلحات أساسية هي: الضوابط، والحوار، والفكر الإسلامي. أتناولها بالتوضيح والبيان على النحو الآتي:

١ - الضوابط:

الضوابط جمع ضابط، وهو اسم فاعل من الضبط، والضَّبْطُ في اللغة: لزوم الشيء وحبسه. وضَبْطُ الشيء: حفظه بالحزم والإحكام والإتقان حفظاً بليغاً، ومنه قيل: ضبطتَ البلاد إذا قمت بأمرها قياماً ليس فيه نقص. وضبطتَ الكتاب إذا صححت أخطاءه وأصلحت خلله. ورجل ضابطٌ: أي قوي حازم. والضابطُ: القوي على عمله. والأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه[١].

ويُعرف العلماء الضابط في الاصطلاح بأنه: حكم كلي ينطبق على جزئياته[٢].

(١) انظر: لسان العرب - لابن منظور، مادة (ضبط). والمصباح المنير - لأحمد الفيومي، ص١٣٥. والمعجم الوسيط - لمجمع اللغة العربية، ج١/ ص٥٣٣.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، ج١/ ص٥٣٣.

والمراد بالضوابط هنا: الأحكام الكلية والأسس والمبادئ العامة المنظمة للحوار في الفكر المنبثق من الإسلام.

٢ - الحــوار:

ترد كلمة (حَوَرَ) ومشتقاتها في اللغة بمعان عدة، فقد جاء أن الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال: حارَ إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً رجع عنه وإليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، أي: لن يرجع مبعوثاً يوم القيامة.

وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حارَ يحُور حَوْراً، قال لبيد:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضَوْئهِ يَحُورُ رماداً بعد إذْ هو ساطِعُ

والمحاورةُ: المجاوبة. والتَّحاورُ: التجاوب، تقول: كلَّمتهُ فما أَحار إليَّ جواباً وما رجع إليَّ حوِيراً ولا حَويرةً، أي: ما ردَّ جواباً.

واستحاره أي استنطقه، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمُحَاورةُ: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[١].

ونستنتج مما تقدم أن كلمة (الحوار) تدور في استخداماتها في اللغة العربية حول المعاني الآتية:

١ - الرجوع إلى الشيء وعن الشيء.

(١) انظر: لسان العرب - لابن منظور، مادة (حور).

٢ - التحول من حال إلى حال.

٣ - الإجابة والرد.

٤ - الاستنطاق ومراجعة الحديث.

وهذه المعاني المتعددة متحققة في الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي موضوع كتابنا هنا، فالمتحاوران قد يرجع أحدهما إلى رأي الآخر أو قوله أو فكره رغبة في الوصول إلى الصواب والحقيقة. والمحاور يتنقل في حواره من حالة إلى أخرى، فمرة يكون مستفسراً، وأخرى يكون مبرهناً، وثالثة يكون مفنداً، وهكذا. كما أن المتحاورين يهتم كل واحد منهما بالإجابة عن أسئلة صاحبه، ويقدم مجموعة من الردود على أدلته وبراهينه. كما أن كل واحد منهما يستنطق صاحبه ويراجع الحديث معه لغرض الوصول إلى أهدافه ومراميه[١].

ويُراد بالحوار في الاصطلاح: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين لمعالجة قضية من قضايا الفكر والعلم والمعرفة بأسلوب متكافئ يغلب عليه طابع الهدوء والبعد عن الخصومة.

ومن المصطلحات المقاربة في معناها لمعنى الحوار: مصطلح (المناظرة)، وهو: "تردد الكلام بين شخصين يَقصد فيه كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق"[٢]. وكذا مصطلح (الجدل)، وهو: "المفاوضة على سبيل

(١) انظر: الحوار الذات والآخر - للدكتور عبد الستار الهيتي، ص٣٩.
(٢) مناهج الجدل في القرآن الكريم - للدكتور زاهر الألمعي، ص٣٠.

المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم"[1]، ومنه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله. إلا أن الجدل رغم اشتراكه مع الحوار في كونه مراجعة للكلام وتداول له بين طرفين، فإنه يفترق عنه في كون هذا التداول وتلك المراجعة تأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة في الجدل، بينما تأخذ طابع الهدوء والبعد عن الخصومة في الحوار. يقول أبو البقاء الكفوي:

"الجدل عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره"[2].

٣ - الفكر الإسلامي:

مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة في الدراسات الإسلامية، والمراد به هنا: المحاولات العقلية والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى لفهم الإسلام وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعية في ضوء أصوله ومبادئه[3].

وهو بعبارة أخرى: كل ما أنتجه المسلمون وفق منهج الإسلام من فكر بشري في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم

(١) المرجع السابق، ص٢٤.

(٢) الكليات، ص١٤٥.

(٣) انظر كلاً من: الفكر الإسلامي في تطوره - للدكتور محمد البهي. والأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي - للدكتور محمد رأفت سعيد، ص٧.

والإنسان منذ عصر الصحابة - رضي الله عنهم - وإلى عصرنا الحاضر[1].

ثانياً: لمحة موجزة عن أهمية الحوار وضروراته:

يعد الحوار من الأمور المهمة جداً التي تدعو إليها النصوص الشرعية والضرورات الحياتية، فقد جاء القرآن الكريم بمثله العليا وقيمه الإنسانية التي تولي الحوار أهمية كبرى، تتضح هذه الأهمية في اتساع دائرة الحوار وشموله لما لا يحصى كثرة من القضايا والمسائل، فهناك محاورات بين الخالق - جل جلاله - ومخلوقاته من الرسل الكرام عليهم السلام، ومن الملائكة المقربين، والشيطان الرجيم.

وهناك محاورات بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم، وبين القوم الأخيار والأشرار، وهناك أيضاً محاورات مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومع مشركي العرب.

وإذا خاطب القرآن الكريم هذه الفئات المتعددة الموجودة آنذاك، فإنه يعني مخاطبة أية فئات جديدة توجد عبر التاريخ مهما تنوعت مقولاتها الفكرية ليبرهن على مقدرة العقل المسلم على مواجهة أي فكر مستجد.

ومن الآيات الصريحة التي تدعو إلى الحوار وتبين آدابه: قوله تعالى ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ

(١) انظر: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري - للدكتور محسن عبدالحميد، ص٢١.

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله أيضاً ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وتمشياً مع المبادىء الإسلامية الداعية إلى الحرية في تكوين القناعات ينضم إلى الآيات السابقة، ما كان بين رسول الله ﷺ وصحابته، وما كان بينه وبين قومه من محاورات ومساجلات فكرية ترويها لنا كتب السنن والسير[1].

والحوار ركيزة أساسية في الدعوة إلى الله تعالى وبيان محاسن الإسلام ومفاهيمه السمحة وفضائله وقيمه ومقاصده السامية، وحث الناس على الالتزام بأحكامه، يقول عز وجل ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ووصولاً إلى هذا الهدف أرسل النبي ﷺ أكثر من خمسين رسالة إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام ويرغبهم فيه[2].

والحوار ضروري لكشف الشبهات وتفنيد الأباطيل التي تثار

(١) للاطلاع على نماذج من هذه المحاورات راجع كلاً من: حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل - للدكتور موسى الإبراهيم، ص٢٥٥ -٢٦٨. والحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية - لخالد المغامسي، ص ١١٩ -١١٧.

(٢) راجع: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - لمحمد حميد الله، ص٩٢ وما بعدها.

حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً ومنهجاً وسلوك حياة، سواء كانت من المسلمين أو من غير المسلمين، وكثير من الناس يمتنع عن الدخول في الإسلام لوجود شبهات تعترض طريقه، فيجاب عن هذه الشبهات عن طريق الحوار البناء. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "إن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام، ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون أجوبة عليها"(١).

ومن الشبهات التي ظهرت عند المسلمين وتم الرد عليها وكشفها عن طريق الحوار: شبهات الخوارج على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث ذهب إليهم عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - لمعرفة ما في أنفسهم من شبه أباحوا بها لأنفسهم الخروج على خليفة المسلمين، وبدأ الحوار معهم بتحديد نقاط الاختلاف بينهم وبين الخليفة، وبعد أن حددها أخذ في الرد عليها الواحدة تلو الأخرى، فلم يترك شبهة إلا ودحضها بالدليل القاطع، فرجع كثير منهم للحق لما بان لهم(٢).

ولابد من الحوار لبناء المفاهيم الصحيحة وإيضاح الحق للناس، وهذا ما سلكه النبي ﷺ في حواراته الكثيرة مع صحابته الكرام، ومن ذلك حواره مع أصحابه في بيان حقيقة الغيبة وحكمها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة؟،

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ١/ ص ٧٦.

(٢) راجع: جامع بيان العلم وفضله - لابن عبدالبر، ج٢/ ص ١٢٦ -١٢٧.

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته"[1].

ومن ذلك أيضاً: حواره ﷺ مع الصحابي الذي جاء يستأذنه في الزنا، فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - أنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه يزجرونه، فقال له ﷺ: أدن، فدنا قريباً منه، فقال له: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، أفتحبه لابنتك؟، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، أفتحبه لأختك، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، أفتحبه لعمتك؟، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، أفتحبه لخالتك؟، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، فوضع النبي ﷺ يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[2].

وهكذا يغرس النبي ﷺ القناعة بالحق في العقول في حوار

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الغيبة)، ج١٦/ ص١٤٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، الحديث رقم (٢٢٢١١)، ج٣٦/ ص ٥٤٥، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح".

هادئ يحرك العواطف والمشاعر ويناجي الفطرة، ينتهي بانتصار الخير على الشر، واستعلاء العفة والإيمان على الشهوات والنزوات.

ولابد من الحوار لاكتساب العلم وتلقي المعرفة، ونقل العلوم والخبرات والثقافات، وتلاقح الحضارات من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية جعل الناس مختلفين تتعدد آراؤهم وأفهامهم، وتتنوع عقائدهم ومعارفهم، فاختلاف التنوع بين البشر سنة كونية وحقيقة فطرية وقضاء إلهي مرتبط بالابتلاء والتكليف الذي تقوم عليه خلافة الإنسان في الأرض، يقول تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، ويقول كذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]. والواقع يشهد في كل مراحل الزمن على وجود هذا الاختلاف والتعددية بين البشر، فلابد إذن من الحوار الذي يمثل الأداة الحضارية المثلى لضبط الاختلاف المذموم (اختلاف التصادم والتضاد)، وإيجاد أرضية مشتركة بين الأطراف المختلفة أفراداً وجماعات، لتفعيل قيم التعارف والتعاون بين الناس، والانفتاح عليهم، وفهم وجهات نظرهم، والاستفادة الإيجابية من معطياتهم، وتحقيق المصالح المشروعة المشتركة معهم، ولا سيما في هذا العصر الذي يدخل العالم فيه مرحلة من المتغيرات الجذرية والتطورات والتحولات الكبرى والسريعة على مختلف الأصعدة،

ويشهد ثورة هائلة في وسائل الاتصال والإعلام وتدفق المعلومات، وما تفرضه هذه الثورة من إمكانات غير مسبوقة للتواصل الثقافي والفكري والقيمي بين الأطراف المختلفة في الشعب الواحد وبين الشعوب الكثيرة المتعددة.

الفصل الأول

قواعد الحوار وأصوله في الفكر الإسلامي

للحوار في الفكر الإسلامي قواعد وأصول وأسس لابد لأطراف الحوار على اختلاف أنواعه من الانطلاق منها والاعتماد عليها. ولعل من أبرز هذه القواعد والأصول مما يناسب مقامنا هذا ما يأتي:

أولاً: إخلاص النية لله تعالى:

وحقيقة الإخلاص ألا يبتغي المحاور من حواره مع الآخر إلا وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وطلب حسن مثوبته، وبيان الحق والذب عنه، ودلالة الناس إلى الهدى وتثبيتهم عليه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لابد من حسن النية، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء. وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله ومن ورثة الأنبياء خلفاء الرسل"[1].

وإن مما يقدح في الإخلاص وينافيه: الرياء والسمعة وطلب الشهرة والتعصب للرأي، والرغبة في العلو والانتصار.

(١) مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص٢٣٥.

يقول الخطيب البغدادي: "ويخلص النية في جداله بأن يبتغي وجه الله تعالى...، وليكن قصده في نظره: إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم"(١).

وقد ضرب الأنبياء والرسل - عليهم السلام - أروع الأمثلة في إخلاص دعوتهم لله في حوارهم مع أقوامهم، فهذا نوح مثلاً يقول: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هـود: ٢٩]، وهذا هود يقول: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هـود: ٥١]، وهذا صالح يقول: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٩]. وهذا شعيب يقول: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨].

ثانياً: العلم:

يعد العلم من القواعد والمقومات الأساسية للحوار، ومن أهم أسباب نجاحه، وبدونه يصبح الحوار هدراً للوقت وضياعاً للجهد.

والعلم المقصود هو العلم بموضوع الحوار ومسائله، والقدرة على النظر والموازنة والاستنباط والاستدلال والترجيح بين الأدلة المختلفة.

ولا يجوز الخوض في الحوار قبل استكمال أدواته العلمية والعقلية، وذلك لأن العلم هو الوسيلة الصحيحة للتفكير السليم ؛

(١) الفقيه والمتفقه، ج٢/ ص٢٥ -٢٦.

ومن ثم الوصول إلى الحق. ولذا ذم الله سبحانه الذين يجادلون في الله بغير علم، فقال جل وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحَجّ: ٨ - لقمان ٢٠]، كما أنكر سبحانه على أهل الكتاب محاجتهم بدون علم، حيث يقول: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٦٦]، يقول القرطبي: "في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له"(١).

فلا يصلح أي إنسان للحوار حتى وإن كان صاحب حق، فإنه ربما حاور بهدف نصرة الحق فيخذل الحق؛ لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه، وربما احتج بحجج باطلة، مثلما يحدث في بعض المناظرات والمحاورات التي تعقد في الآونة الأخيرة، فلا يقتنع الناس بالحق الذي معه.

ومن هذا الباب جاء نهي السلف الصالح عن مناظرة المبتدعة؛ لئلا يناظرهم من ليس قادراً على إفحامهم وإظهار الحجة عليهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المُضل، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل عِلجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٤/ ص٧٠.
(٢) درء تعارض العقل والنقل، ج٧/ ص١٧٣.

فمن الخطأ بمكان أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق أو لا يجيد الدفاع عن الحق. كما أن الجاهل بالشيء ليس كفؤاً للعالم به. ومن لا يعلم لا يجوز أن يناظر من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم - عليه السلام - في محاجته لأبيه، حين قال ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مَريَم: ٤٣]. ومن غير المقبول أن يقوم غير مختص ليعترض على مختص فيخطئه ويُغلِّطه، والواجب على من لا يعلم أن يسأل ويتفهم، لا أن يعترض ويجادل بغير علم.

ثالثاً: الاعتراف بالآخر واحترامه:

إن المنطلق الصحيح في إجراء أي حوار مع الغير هو الاعتراف بهذا الآخر واحترامه وقبوله كما هو؛ ومن ثم قبول الاختلاف معه.

فهذا الاختلاف في منظور الإسلام إنما هو من آيات الله سبحانه الدالة على مشيئته وقدرته وحكمته، حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الرُّوم: ٢٢]، ويقول كذلك: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ [المَائدة: ٤٨]، ويصل أمر هذا الاختلاف إلى الاختلاف في الدين على نحو ما يبينه قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافِرون: ٦].

إلا أن هذا الاختلاف ينبغي أن لا يُنسي المختلفين أنهم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ

ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النِّسَاء: ١]، ويقول النبي ﷺ: " إنما أنتم ولد آدم "[1]. كما ينبغي أن لا ينسيهم أن الله كرم الإنسان من حيث هو إنسان، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسرَاء: ٧٠]، وأن لا ينسيهم ما هم مطالبون به من تعارف وتعاون على الخير، يقول عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المَائدة: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

ولكي يتحقق هذا التعاون والتعارف ورد الحث في القرآن الكريم على الاعتراف بالآخر واحترامه، يقول عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۜ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٩]، ويقول عن أهل الكتاب: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٦٢]، ويقول أيضاً: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المَائدة: ٨٢-٨٣].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، الحديث رقم (١٧٣١٣)، ج٢٨/ ص٥٤٨، وقال محققو المسند: "إسناده حسن".

واحترام الطرف الآخر في الحوار يعني كذلك عدم السخرية منه والاستهزاء به والطعن فيه. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحُجرَات: ١١]، ويقول سبحانه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النِّسَاء: ١٤٨]، وهو موقف ينبغي التزامه حتى مع المخالف في الدين، امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعَام: ١٠٨][(١)].

رابعاً: التجرد لطلب الحق:

التجرد لطلب الحق منطلق أساس من منطلقات الحوار في الفكر الإسلامي، ويقصد به استهداف الحق والسعي الجاد إلى الوصول إلى الحقيقة بوصفها ضالة المؤمن، كما جاء في الحديث النبوي: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"[(٢)]. ويقتضي ذلك من المحاور اجتناب التعصب لوجهة نظر مسبقة والتمسك بفكرة أو قناعة يرفض نقضها أو مخالفتها، فإن هذا التعصب يتنافى كلية مع طبيعة الحوار السليم التي تعني الانفتاح على الآخر وتبادل الأفكار وتداول الطروحات معه.

(١) انظر: الحوار من منظور إسلامي - للدكتور عباس الجراري، ص٣٤ - ٣٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في كتاب (العلم)، الباب (١٩)، الحديث رقم (٢٦٩٢)، ج٥/ص٥١، وقال: "حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

إن طبيعة الحوار المنشود تقتضي من طرفي الحوار الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة والأخذ بها تبنياً وتطبيقاً عند ظهورها، ولقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذا المبدأ عندما وجه الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يقول للمشركين في محاورته لهم ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبإ: ٢٤]، وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب لفكرة سابقة، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة أنى كانت ومن أين صدرت(١).

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: "اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً - أو قال فاجراً - واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟، قال: إن على الحق نوراً"(٢).

وينبغي أن يكون المحاور في طلب الحق - كما يقول أبو حامد الغزالي -: "كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرَّفه الخطأ أو أظهر له الحق"(٣).

وقد تمثَّل ذلك الإمام الشافعي - رحمه الله - في مناظراته، حيث نراه يقول: "ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ"(٤)، ويقول

(١) انظر: الحوار من منظور إسلامي - للدكتور عباس الجراري، ص٥٣ - ٥٤.
(٢) مجموع الفتاوى - لابن تيمية، ج٥/ ص١٠١ -١٠٢، وانظر: سنن أبي داود، كتاب (السنة)، باب (لزوم السنة)، ج٤/ ص٢٠٢.
(٣) إحياء علوم الدين، ج١/ ص٤٤.
(٤) آداب الشافعي ومناقبه - للرازي، ص٩١. والفقيه والمتفقه - للخطيب البغدادي، ج٢/ ص٢٦.

أيضاً: "ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه"[1]. ويعلق الحافظ ابن رجب الحنبلي على كلام الإمام الشافعي هذا بقوله: "وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يكره أن يُردَّ عليه قوله"[2].

كما تمثل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مناظراته، ولذا نراه يقول: " لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني - فضلاً عن الرافضي - قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق"[3]، ويقول في موضع آخر: "ليس مما أمر الله به ورسوله، ولا مما يرتضيه عاقل أن تقابل الحجج القولية بالمعاندة والجحد، بل قول الصدق والتزام العدل لازم عند جميع العقلاء. وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم"[4].

خامساً: تحديد موضوع الحوار وهدفه:

موضوع الحوار هو جوهر عملية الحوار ولبها، لذا لابد من الاتفاق من قِبل الأطراف المتحاورة على موضوع محدد أو قضية

(١) الفقيه والمتفقه، ج٢/ص٢٦.
(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير، ص٣١.
(٣) منهاج السنة النبوية، ج٢ / ص٣٤٢.
(٤) درء تعارض العقل والنقل، ج٩ / ص٢٠٧.

محددة يدور حولها الحوار والنقاش، فإن ذلك يُعدُّ عاملاً مهماً من عوامل إنجاح هذا الحوار وجني ثمراته الطيبة.

وافتقاد هذا التحديد يؤدي إلى بعثرة الأفكار المطروحة وضبابيتها وعدم وضوحها، ويُحول الحوار إلى لجاج وجدل عقيم لا يجدي نفعاً ولا يحقق كسباً.

"وقد يختلف المتحاوران في مسائل عديدة وليس على مسألة واحدة، ثم يحدث الحوار بين الطرفين في مسائل الخلاف مجتمعة في آن واحد، فينتقل الحوار من مسألة إلى أخرى بدون أن يُتفق على المسألة الأولى، فيتشعب الحوار ويطول في أمور فرعية بعيدة عن موضوع المحاورة، فيكون عائماً لا زمام له، ولا شك أن الاستمرار بهذه الطريقة يعدّ تبديداً للجهود وإضاعة للوقت، خاصة وأن بعض المتحاورين يلجأ إلى الهرب والمراوغة، فإذا وجد أن الطرف الآخر أظهر عليه الحجة فرَّ إلى جزئية أخرى وتشبث بها، أو تعلق بمسائل جانبية طرحها الطرف الآخر بعيدة عن مجال الخلاف أو بمسائل ذات أثر محدود في القضية المتحاور عليها.

والمنهج العلمي في الحوار يقتضي تحديد نقاط الاختلاف بين المتحاورين بدقة، ثم تُرتب في سلم المحاورة الواحدة بعد الأخرى، يُبدأ بالأهم فالمهم، فينتقل الحوار من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزئيات بتناسق علمي مطرد، فليس من الصواب أن تُناقش الفروع قبل الاتفاق على الأصول"[1].

(١) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية - لأحمد الصويان، ص٦٤ بتصرف يسير.

يقول الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي رحمهما الله: " كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فغدا إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد"(١).

سادساً: الاتفاق على أصول مرجعية للحوار:

من المؤكد أنه لا يستقيم أي حوار بين طرفين لا يستند إلى مرجعية واحدة معتمدة يكفل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات وضبط الحوار وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

وإذا كانت أطراف الحوار تنتمي إلى الإسلام فينبغي اتخاذ النص الشرعي أصلاً مرجعياً معتمداً للحوار بين هذه الأطراف استجابة لأمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشّورىٰ: ١٠]، فالرد إلى الكتاب والسنة النبوية الصحيحة هو الذي يدرأ النزاع ويقطع دابر الخصومة، فبهما يُعرف مراد الله ومراد رسوله ﷺ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول،

فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه"(٢).

ويقول الإمام الشاطبي: " إن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا، فإن لم يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهما فائدة

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم - لبدر الدين بن جماعة، ص٤٠.
(٢) مجموع الفتاوى، ج٢٠/ ص١٢.

بحال، وإذا كانت الدعوى لابد لها من دليل، وكان الدليل عند الخصم متنازعاً فيه، فليس عنده بدليل، فصار الإتيان به عبثاً لا يفيد فائدة ولا يحصل مقصوداً. ومقصود المناظرة: رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه؛ لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق، فلابد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل. وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، لأن الكتاب والسنة لا خلاف فيهما عند أهل الإسلام، وهما الدليل والأصل المرجوع إليه في مسائل التنازع"[1].

وأما إذا كان أحد طرفي الحوار من غير المسلمين، فينبغي الاتفاق على مرجعية معتمدة ومعترف بها من قِبل الطرفين، كالقواعد الدينية السماوية العامة، والأسس الحضارية المشتركة، والقيم والمثل الإنسانية العليا، وقواعد العقل البشري السليم، والثوابت والمُسلَّمات، ونحو ذلك من المرجعيات الكبرى المعتمدة لدى مختلف الأديان والفئات والأجناس البشرية التي يُعرف بها الحق من الباطل والراجح من المرجوح والفاضل من المفضول. وما لم تتوافر هذه الأصول المرجعية فإن الحوار سيسير في دائرة مغلقة تطول ولا تصل إلى نهاية.

سابعاً: الانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق:

ينبغي ألا يبدأ الحوار بنقاط أو جزئيات مختلف فيها بين الطرفين، بل بنقاط متفق عليها أو قواعد مسلمة أو بدهية، ثم يُتدرج

(١) الموافقات في أصول الشريعة، ج٤/ص٣٣٥.

منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم منها إلى مواضع الخلاف، فإن ذلك أدعى إلى تقريب الشُقة، وأحرى إلى تحقيق الوفاق والتوصل إلى نتائج سليمة يرتضيها الطرفان.

وهذا هو منهج القرآن الكريم، فلقد حاول بشتى الوسائل الانطلاق في حواره مع الآخر من أرضية مشتركة يتفقان عليها. ومن ذلك على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤]. يقول الشيخ محمد عبده في تفسيره لهذه الآية: "المعنى أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يُعرِّفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلمنا أن فيما جاءكم من نبأ المسيح شيئاً فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعاً على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء، فإن سلمنا أن المسيح قال إنه ابن الله، قلنا هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟، وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه؟، أم كان يدعو إلى عبادة الله وحده؟، لا شك أنكم متفقون معنا على أنه كان يدعو إلى عبادة الله وحده والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل"[1].

(١) تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا، ج٣/ ص٣٢٦.

ثامناً: عدم التناقض:

والمقصود به سلامة دعوى المحاور ودليله من التعارض، وألا يكون بعض كلامه ينقض البعض الآخر، فإن كان كذلك كان كلامه ساقطاً بداهة وفكرته لاغية، ذلك أن التناقض في الأفكار والتباين في طرحها يجعل تلك الأفكار متهافتة لا يُلتفت إليها، وبعيدة عن منطق الحق والموضوعية العلمية.

ومن أمثلة التناقض في الدعوى: ما حكاه القرآن الكريم على لسان كفار قريش في قولهم عن الآيات التي جاء بها النبي محمد ﷺ بأنها سحر مستمر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، ففي قولهم هذا تعارض وتناقض واضح لا يستحق رداً ولا يحتاج مناقشة، فهو ساقط علمياً، لأن من شأن الأمور المستمرة أن لا تكون سحراً، أما أن يكون الشيء سحراً ومستمراً معاً في وقت واحد فذلك جمع بين متضادين لا يجتمعان.

ومثل ذلك أيضاً وصف فرعون لموسى عليه السلام لما جاء بالحجج الدامغة والآيات الباهرة ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذّاريَات: ٣٩]، وهو وصف يتضمن أمرين متناقضين لا يجتمعان؛ هما السحر والجنون، لأن الشأن في الساحر العقل والذكاء والفطنة، أما المجنون فلا عقل معه البتة، وهذا من فرعون تهافت وتناقض بيِّن[1].

(١) انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة - لعبدالرحمن بن حسن الميداني، ص ٣٦٧ -٣٦٨. والحوار الذات والآخر - للدكتور عبد الستار الهيتي، ص٥٩ - ٦٠.

تاسعاً: سلوك الطرق العلمية والتزامها:

ومن هذه الطرق العلمية ما يأتي:

١ - تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة في الحوار، وقد أرشد القرآن الكريم إلى ذلك في نصوص قرآنية عديدة، منها:

أ - قوله تعالى ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النَّمل: ٦٤].

ب - وقوله تعالى ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبيَاء: ٢٤].

ففي هذين النصين يأمر الله رسوله محمداً ﷺ بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على ما يدَّعون، ويشمل البرهان في مثل هذا الادعاء البرهان العقلي، والبرهان النقلي عن رسول الله، وتشير الآية الأولى إلى مطالبتهم بتقديم البرهان بشكل عام عقلياً كان أم نقلياً، وأما الآية الثانية فتطالب بتقديم البرهان النقلي[1].

ج - وقوله عز وجل ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ

(١) انظر: ضوابط المعرفة - لعبدالرحمن الميداني، ص ٣٦٦.

نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ١١١]، ففي "هذه الآية يأمر الله رسوله بأن يطالب الذين ادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود أو من النصارى بتقديم برهانهم على ما يدعون"(١).

يقول ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية: "... وهكذا كل من ادعى دعوى لابد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قُلبت عليه دعواه وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان عُلم كذبهم بتلك الدعوى"(٢).

ويقول محمد رشيد رضا: " طالبهم تعالى بالبرهان على دعواهم، فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية، وهي أنه لا يقبل من أحد قول لا دليل عليه، ولا يُحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها"(٣).

د - وقوله أيضاً ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٣]. "وذلك

(١) المرجع السابق.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ج ١/ ص١٢٥.
(٣) تفسير المنار، ج ١/ ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

أن اليهود أخذوا يعترضون على رسول الله ﷺ في أكله لحوم الأبل وشربه ألبانها، مع إعلانه أنه على دين إبراهيم عليه السلام، مدَّعين بأنها كانت محرمة في ملة إبراهيم، فقال لهم الرسول: كان ذلك حلالاً لإبراهيم فنحن نحله، فقال اليهود: إنها لم تزل محرمة في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام، فأمر الله رسوله بأن يطالبهم بتقديم الدليل على ما يدَّعون من نقل صحيح"[1].

٢ - إثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية أثناء الحوار، سواء كانت أدلة عقلية أم نقلية.

فإن كان الدليل عقلياً فالمطلوب إظهار صراحته وبيان حجته، وإن كان الدليل نقلياً فالمطلوب تحرير صحته.

والدليل النقلي إما أن يكون دليلاً من القرآن الكريم، وإما أن يكون دليلاً من السنة النبوية.

فإن كان من القرآن الكريم فيُكتفى بإيراده وبيان وجه دلالته على المسألة التي استدل بها المحاور عليها، لأن كل ما يوجد بين دفتي المصحف هو مقطوع بصحته. وإن كان الدليل من السنة النبوية، فلابد - مع بيان وجه دلالته - من بيان درجته من حيث الصحة وعدمها.

يقول الله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟

(١) ضوابط المعرفة، ص ٣٦٦ بتصرف يسير.

مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، يقول ابن تيمية في تعليقه على هذه الآية: "فطالبهم - أي المشركين العابدين مع الله غيره - أولاً بالطريق العقلي، وثانياً بالطريق السمعي"[(١)]، "والكتاب هو الكتاب - أي جنس الكتب المنزلة من عند الله -، والأثارة كما قال من قال من السلف: هي الرواية والإسناد، وقالوا: هي الخط أيضاً، إذ الرواية والإسناد يكتب بالخط، وذلك لأن الأثارة من الأثر، فالعلم الذي يقوله من يُقبل قوله يؤثر بالإسناد ويقيد ذلك بالخط، فيكون ذلك كله من آثاره"[(٢)].

فينبغي على المحاور ألا يستدل على كلامه بنقل ضعيف أو موضوع، أو بدلالة ضعيفة، أو بعقل فاسد، وليعلم أن الاكتفاء ولو بدليل واحد صحيح قاطع خير من سوق عشرات الأدلة الضعيفة الواهية.

وفي هذين الطريقين[(٣)] جاءت القاعدة الحوارية المشهورة لدى علماء أدب البحث والمناظرة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعياً فالدليل)[(٤)].

(١) درء تعارض العقل والنقل، ج ٧/ ص٣٩٥.

(٢) المرجع السابق، ج١/ ص ٥٧ -٥٨. وانظر: تفسير القرآن العظيم - لابن كثير، ج ٤/ ص ١٥٣ -١٥٤.

(٣) أعني : ١- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة.
٢-وإثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية.

(٤) انظر : ضوابط المعرفة، ص ٣٦٥.

٣ - "قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة، أو الأدلة المرجحة، إذا كان موضوع الحوار مما يكفي فيه الدليل المرجح، وإلا كانت المحاورة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه"[١].

(١) المرجع السابق، ص ٣٦٩ بتصرف يسير.

الفصل الثاني

قيم الحوار وآدابه
في الفكر الإسلامي

للحوار في الفكر الإسلامي قيم وآداب عدة لابد من الالتزام بها، امتثالاً للأوامر الإلهية الواردة بشأنها في النصوص الشرعية، ولأن هذا الالتزام يُعد وسيلة هامة في طمأنة المحاور وتسليمه واقتناعه، وضمان لمواصلته الحوار ومضيه فيه لتحقيق الأهداف المنشودة منه.

ولعل من أبرز هذه القيم والآداب مما يناسب مقامنا هذا ما يأتي:

أولاً: الرفق واللين:

إن من أهم ما ينبغي أن يتوجه إليه المحاور في حواره الالتزام بالرفق واللين، وما يرتبط به من سلوك حميد كالصبر والحلم والتودد والنصح والقول الحسن السديد. يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، يقول الشوكاني: " أي إلا بالخصلة التي هي أحسن، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى

الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة"[1]. ويقول تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النّحل: ١٢٥]، يقول ابن كثير: " أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"[2].

بل إن الإسلام يدعو المسلمين جميعاً إلى أن يكون هذا منهجهم في حياتهم وفي حديثهم كله مع الآخرين، حيث يقول سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [الإسرَاء: ٥٣]، ويقول أيضاً: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البَقَرَة: ٨٣]، ويقول كذلك ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فُصّلَت: ٣٤]. ويقول النبي ﷺ: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"[3]، ويقول أيضاً: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"[4].

وللتأكيد على ضرورة اعتماد أسلوب الرفق واللين في الحوار بعيداً عن الغلظة والعنف ألح القرآن الكريم على هذا الأسلوب في مواقف كثيرة، منها: أنه حين أمر الله سبحانه موسى - عليه السلام - أن يذهب هو وأخوه لمحاورة فرعون دعاهما إلى أن يتوسلا

(١) فتح القدير، ج٤/ ص٢٠٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٢/ ص٥٩١.
(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب)، الباب (٣٥)، الحديث رقم (٦٠٢٤)، ج١٠/ ص٤٤٩.
(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (فضل الرفق)، ج١٦/ ص١٤٦.

معه بهذا الأسلوب رغم طغيانه وسطوته. يقول تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۞ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٢-٤٤]، يقول ابن سعدي: " فقولا قولاً ليناً: أي سهلاً لطيفاً برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلظة في المقال"(١).

ولقد سلك أنبياء الله ورسله هذا الأسلوب في حوارهم مع أقوامهم، ومن ذلك على سبيل المثال: حوار إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۞ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ۞ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١،٤٣-٤٨]، فقد تضمن هذا الحوار رفقاً ولياناً ظاهرين، كما تضمن دروساً في ترسيخ معالم الهداية وأدب الحوار، نستجلي أهمها فيما يأتي(٢):

(١) تفسير الكريم الرحمن، ج٥/ ص١٥٩.

(٢) انظر: في هذا كلاً من: في ظلال القرآن - لسيد قطب، ص ٢٣١١ -٢٣١٢. والقصص القرآني تفسير اجتماعي - للدكتور راشد البراوي، ص ١٥٥ - ١٥٧. والأنبياء في القرآن - لسعد صادق محمد، ص ١١٦ -١١٨. والحوار في قصص إبراهيم - عليه السلام - في القرآن الكريم دروس ودلالات - للدكتور محمد الشايع، ص ٧ -١٠.

أولاً: لطف الخطاب وأدب الحوار مع المخالف رغم عظم المخالفة، فالقضية المطروحة للبحث والحوار هنا قضية كفر وإيمان، وهما ضدان لا يجتمعان، لكن إبراهيم - عليه السلام - يبدأ خطابه لأبيه بلين وأدب جميل، واستعطاف يبدأه بنداء الأبوة (يا أبت) يستثير بهذا النداء أبوته الحانية، ويحرك مشاعره الراكدة، يلامس بهذا شغاف قلبه، ليس هذا فحسب، بل يكرر هذا النداء المؤثر أربع مرات مع كل خطاب لأبيه، إن لم تؤثر الأولى فعسى أن تؤثر الأخرى. ومع عدم انتهاء الحوار بين إبراهيم وأبيه إلى نهاية سعيدة حميدة كان يرجوها - عليه السلام - لأبيه، ومع غضب أبيه عليه وتهديده له بقوله ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مَريَم: ٤٦]، يختم حواره مع أبيه بالسلام عليه والدعاء له بقوله ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مَريَم: ٤٧]، فكان لطف الخطاب وحسن الجواب وأدب الكلام شعار الحوار في البدء والختام وأثناء الكلام.

ثانياً: حسن المدخل لمسائل الخلاف وقضاياه، حيث بدأ إبراهيم - عليه السلام - أباه بالتساؤل ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مَريَم: ٤٢]. وهذا أسلوب جميل يحمل المحاور المخالف على التفكير وإعادة النظر في الأمر، للوصول إلى الحق بنفسه، حتى لا يشعر بأنه أُفحم وبُهت، فتأخذه العزة بالإثم، ويمتنع عن قبول الحق انتصاراً للنفس ولو بالباطل.

ثالثاً: حصر الحوار في القضايا الكبرى، دون الانشغال في الجزئيات والتفصيلات، فقد اقتصر إبراهيم - عليه السلام - في هذا

الحوار على دعوة أبيه إلى إخلاص العبادة لله وحده - التي هي غاية خلق الله تعالى لعباده - دون الخوض في القضايا الجزئية.

رابعاً: تناول المُسَلَّمات المتفق عليها، فآلهة آزر التي يعبدها هي الأصنام المنحوتة من الأحجار، وهذه الأصنام في حقيقتها وواقعها لا تسمع دعاء ولا تفهم ثناءً ولا تجيب نداءً، ولا تبصر خضوع خاضع، ولا خشوع خاشع، ولا تملك نفعاً ولا تدفع ضراً. وبناء على هذه الحقيقة القائمة الواضحة، فهي لا تملك من مقومات وصفات الإله شيئاً، ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مَريَم: ٤٢]، وبمثل هذا الأسلوب والتقرير يتنبه العقل من غفلته، ويصحو الضمير من غفوته، ويستيقظ الحس من رقدته، لمن ألقى السمع وهو شهيد.

خامساً: التنبيه لإسهام العلم في إيضاح الحق والوصول إلى الصواب، فالعلم شرط في المُحاور المؤثر، ومحفز للمحاور من أجل قبول الحق، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مَريَم: ٤٣].

سادساً: إظهار الحرص على المخالف، والخوف عليه من التشبث بالباطل، وبيان أن الهدف من محاورته بيان الحق وإقناعه به، لسعادته ونجاته في دنياه وآخرته، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مَريَم: ٤٥].

ولما أثمر الحوار ثمرته من بذل النصح والتعريف بالحق وإقامة

الحجة، وتبيَّن تمايز المواقف، وظهرت عداوة آزر لربه، اعتزل إبراهيم أباه دون تهديد ووعيد أو إيذاء، وأعلن براءته منه مع الدعاء له بالاهتداء. ولذا وصفه الحق سبحانه بقوله الكريم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ١١٤]. كما أثنى عز وجل على نبينا محمد ﷺ لِما كان عليه من لين وعفو وابتعاد عن الغلظة والفظاظة، ولِما لهذا السلوك الفاضل من أثر حسن في التفاف الناس حوله، حيث يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

ثانياً: عفة اللسان:

ذلك أنه يجب على المحاور الامتناع عن الإيذاء والسخرية والاستهزاء، واجتناب البذاءة والفحش في القول، لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾، وقوله أيضاً: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ﴾ [الحُجرَات: ١١]، ولقوله ﷺ: " ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"(١).

كما يجب عليه اجتناب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث وإيقاع الخصم في الحرج، حتى ولو كانت الحجة بينة والدليل دامغاً، فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، وقد يُفحم المحاور

(١) رواه البخاري في (الأدب المفرد) برقم (٣١٢) ص٨٧، والإمام أحمد في (المسند) برقم (٣٨٣٩)، ج٦/ ص٣٩٠، وكذا الحاكم في (المستدرك) في كتاب (الإيمان) برقم (٢٩)، ج١/ ص٥٧، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين".

خصمه ولكنه بأسلوب التحدي لا يُقنعه، وقد يُسكته بحجة قوية ولكنه لا يكسب تسليمه وإذعانه للحق. والحرص على كسب القلوب واستلال السخائم أهم وأولى عند المنصف العاقل من استكثار الأعداء واستكفاء الإناء[1].

وينبغي التأكيد على الاحترام المتبادل بين طرفي الحوار، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطب بالعبارات اللائقة والألقاب المستحقة والأساليب المهذبة، فنحن مأمورون بإنزال الناس منازلهم. وتبادل الاحترام إنما يقود إلى قبول الحق والبعد عن الهوى والانتصار للنفس.

وهذا التقدير والاحترام المطلوب لا ينافي النصح وتصحيح الأخطاء بأساليبه الرفيعة وطرقه الوقورة، فالمطلوب هو التقدير والاحترام لا المَلَق الرخيص والنفاق المرذول والمدح الكاذب والإقرار على الباطل.

ومما يتعلق بهذه الخصلة الأدبية أن يتوجه النظر وينصرف الفكر إلى القضية المطروحة ليتم تناولها بالبحث والتحليل والإثبات والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها، لكي لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية؛ طابعها الطعن والتجريح والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة ذوات الأشخاص وتصرفاتهم ومؤهلاتهم العلمية وسيرهم الذاتية[2].

(١) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للدكتور صالح بن حميد، ص٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١١.

والمتتبع للحوارات التي يزخر بها تراثنا الإسلامي يدرك ذلك الأدب الرائع بين المتحاورين في أدق قضايا الإسلام وأحكامه، ويطَّلع على

النماذج المشرقة التي حواها ذلك التراث الفكري المعرفي.

ومن هذه النماذج الحوارية الفاضلة: ذلك الحوار الرائع المكتوب الذي تم تبادله بين عالمين جليلين من علماء الأمة هما: إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وإمام مصر وعالمها الكبير الليث بن سعد - رحمهما الله - حول عددٍ من المسائل والأحكام الفقهية .

حيث يقول الإمام مالك - رحمه الله - في رسالته إلى الليث بن سعد - رحمه الله - ما نصه: " من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد: عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا وإياك من كل مكروه. اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه، وأنت في أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قِبَلك إليك، واعتمادهم على ما جاءهم منك حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن الله تعالى يقول في كتابه ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية، ويقول ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ١٧-١٨]، ثم يأخذ الإمام في تبيين القواعد والأصول التي يكون عليها العمل وبها الاستدلال، مبيناً سر الاختلاف بينه وبين الإمام الليث.

ثم يختم رسالته بتأكيد إخلاصه في النصيحة، وصدقه في حب الخير لأخيه الإمام الليث، ودعوته له بالتوفيق لطاعة الله ورسوله ﷺ فيقول: "... فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك فيه لنفسك، واعلم إني أرجو ألا يكون دعائي إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله تعالى وحده، والنظر لك والضن بك، فأنزل كتابي منك منزلته، فإنك إن فعلت تعلم أني لم آلك نصحاً، وفقنا الله وإياك لطاعته وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال، والسلام عليك ورحمة الله"[1].

وبمثل هذا الأدب الرفيع الجم يبعث الإمام الليث إلى الإمام مالك برسالة علمية رائعة يعرض فيها وجهة نظره حول كثير مما يذهب إليه الإمام مالك في تلك المسائل والأحكام الفقهية ويخالفه فيها الليث بن سعد. ونظراً لطول الرسالة نقتطف منها ما يشير إلى ذلك الأدب الجم الذي اختلف في ظله سلف الأمة وكرام علمائها. يقول الليث بن سعد: " سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه"[2]، ثم يذكر المسائل التي يختلف فيها مع الإمام مالك، والتي منها: الجمع ليلة المطر، والقضاء بشاهد ويمين، ومؤخر

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك - للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، ج١/ ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين - لابن قيم الجوزية، ج ٣/ ص ٨٣.

الصداق لا يقبض إلا عند الفراق، وتقديم الصلاة على الخطبة في الاستسقاء. ويختم رسالته بقوله - رحمه الله -: " وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك، مع استئناسي بمكانك، وإن نأت الدار فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه، ولا تترك الكتاب إلي بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يوصل بك، فإني أسر بذلك، كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا، وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "[1].

ثالثاً: الهدوء والسكينة:

ومن الآداب المهة التي ينبغي أن يتحلى بها المحاور المحافظة على الهدوء والروية، والسيطرة على الانفعالات، واجتناب الغضب ومسبباته، فذلك يُعد من الأمور الضرورية لتوفير مناخ صحي للحوار والمناظرة. ومجالس الحوار مجالس علم، فيجب أن ترعى لها حقوقها وتحفظ لها هيبتها، يقول الإمام مالك بن أنس رحمه الله: " إن مجالس العلم تُحتضن بالخشوع والسكينة والوقار "[2].

والغضب من الخصال الذميمة التي نهى عنها الإسلام، فقد جاء

(١) المرجع السابق، ج ٣/ ص ٨٨.
(٢) المدخل إلى السنن الكبرى - للإمام البيهقي، ص٣٩٤.

رجل إلى النبي ﷺ وقال: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب[1]. وبيَّن ﷺ أنه: " ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[2].

كما أن التشنج والانفعال والغضب ليس هو الأسلوب الأمثل لبيان الحق ونصرته؛ لأنه يؤدي إلى اختلال الفكر وعدم سداده، وحينئذ لا مطمع للفهم، فيفوت الغرض من المحاورة[3]، ولأن الغضب كما يقول ابن القيم: " نوع من الغَلْق والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حسن التصور والقصد "[4]، ولذا فهو في نظره رحمه الله: "عدو للعقل، وهو للإنسان كالذئب للشاة قلما يتمكن منه إلا اغتال عقله "[5].

رابعاً: اجتناب رفع الصوت:

ومن لوازم الهدوء اجتناب رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع. يقول تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة في كتاب (الأدب)، الباب (٧٦)، الحديث رقم (٦١١٦)، ج١٠/ ص٥١٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في الموضع السابق، الحديث رقم (٦١١٤)، ج١٠/ ص٥١٨. ورواه مسلم أيضاً في صحيحه في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (فضل من يملك نفسه عند الغضب)، ج١٦/ ص١٦٠.

(٣) انظر: التفسير الكبير - للفخر الرازي، ج٢٥/ ص٢٥٧.

(٤) إعلام الموقعين، ج٢/ ص١٧٥.

(٥) إغاثة اللهفان، ص٤٩.

"فينبغي على المحاور ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة، ففي ذلك إيذاء لنفسه ولمحاوره. ورفع الصوت لا يقوي حجة، ولا يجلب دليلاً، ولا يقيم برهاناً، بل إن صاحب الصوت العالي لم يعل صوته - في الأغلب - إلا لضعف حجته وقلة بضاعته؛ فيستر عجزه بالصراخ، ويواري ضعفه بالعويل. وهدوء الصوت عنوان العقل والاتزان والفكر المنظم والنقد الموضوعي والثقة الحسنة.

على أن المحاور قد يحتاج إلى التغيير من نبرات صوته حسب استدعاء المقام ونوع الأسلوب؛ لينسجم الصوت مع المقام والأسلوب استفهامياً أم تقريرياً أم إنكارياً أم تعجبياً، أم غير ذلك، مما يدفع السآمة والملل، ويُعين على إيصال الفكرة، ويجدد التنبيه لدى المشاركين والمتابعين"[1].

خامساً: حسن الاستماع والفهم:

ومن الآداب الرفيعة السامية والقيم الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها المحاور: الحرص على حسن الاستماع للآخرين، واللباقة في الإصغاء إليهم؛ فإن ذلك فن قَلَّ من يجيده من الناس في عصرنا الحاضر.

وللمحاور هنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان - عليه الصلاة والسلام - خير من يحسن الاستماع للآخرين ويصغي إليهم،

(١) أصول الحوار وآدابه في الإسلام - للدكتور صالح بن حميد، ص٨ - ٩ بتصرف يسير.

ومن ذلك على سبيل المثال: أن عتبة بن ربيعة اقترح على قريش أن يأتي إلى النبي ﷺ ليعرض عليه أموراً لعله يقبل بها فيتراجع عن دعوته إياهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان، حيث جاء إلى النبي ﷺ وقال: " يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السِّطة[1] في العشيرة والمكان في النسب، وإنكَ قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم فرَّقت بهم جماعتهم وسفَّت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع، قال: يا ابن أخي إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنتَ تريد به شرفاً سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنتَ تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً[2] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع إليه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟، قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۞ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾، [فُصّلَت: ١-٥]، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. فلما

(١) السِّطة: الشرف.

(٢) الرئي: ما يظهر للناس من الجن.

سمعها منه عتبة أنصت لها وألقي يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك"[1].

ويقول أحد الحكماء في وصيته لابنه: " يا بني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول"[2].

وحسن الاستماع يتضمن أموراً عديدة منها:

١ - ألا يحصر المحاور همه في التفكير بما سيقوله في المناظرة، بل يُقبل بوجهه على محاوره وينظر إليه مباشرة، مظهراً حرصه على الوعي بما يقوله ويطرحه من آراء وأدلة وأفكار، حتى ولو كانت معلومة لديه، فهذا عطاء بن أبي رباح علَّامة التابعين يقول: " إن الشاب ليتحدث بحديث فاسمع له كأني لم أسمعه، ولقد سمعته قبل أن يولد"[3].

يقول الخطيب البغدادي في معرض بيانه لآداب المناظرة: " وينبغي أن يكون كل واحد من الخصمين مقبلاً على صاحبه بوجهه في حال مناظرته، مستمعاً كلامه إلى أن ينهيه"[4]. ويقول

(١) السيرة النبوية - لابن هشام، ج١/ ص ٢٦١.

(٢) العقد الفريد - لأحمد بن عبد ربه الأندلسي، ج٢/ص٢٤٣. وانظر: الفقيه والمتفقه - للخطيب البغدادي، ج٢/ص٣٣.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم - لبدر الدين بن جماعة، ص١٠٥.

(٤) الفقيه والمتفقه، ج٢/ص٣٢.

إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: " وعلى كل واحد منهما أن يُقبل على خصمه الذي يكلمه بوجهه في خطابه؛ المتكلم في كلامه والمستمع في استماعه"[(١)].

٢ - إشعار المحاور محاوره المتكلم بالاحترام والاهتمام، وعدم الانشغال عنه أثناء كلامه، كأن يطالع في كتاب بين يديه، أو يقلب أوراقه، أو يعبث بقلمه، ونحو ذلك.

٣ - إعطاء الطرف الآخر الفرصة كاملة للتعبير عن آرائه وعرض أدلته، وعدم مقاطعته ومنازعته الكلام والاقتحام عليه فيه حتى ينتهي تماماً منه. فإن كان هذا الكلام يحتوي على حق تم استخلاصه والاستفادة منه، وإن كان يحتوي على ما سوى ذلك رُد ونُقد بطريقة علمية موضوعية.

يقول الخطيب البغدادي: " وليتق المناظر مداخلة خصمه في كلامه وتقطيعه عليه، وإظهار التعجب منه، وليمكِّنه من إيراد حجته"[(٢)]. ويقول أبو المعالي الجويني: " وعليهما جميعاً أن يصبر كل واحد منهما لصاحبه في نوبته...، لأنهما متساويان في حق المناوبة، فمن لم يصبر منهما لصاحبه فقد قطع عليه حقه"[(٣)].

ولا شك أن المتحاورين سيجنيان عند الالتزام بهذا الخلق

(١) الكافية في الجدل، ص٥٣٤.
(٢) الفقيه والمتفقه، ج٢/ ص٣٥.
(٣) الكافية في الجدل، ص٥٣٣.

الكريم فوائد عدة، منها: إتاحة الفرصة لالتقاء الآراء وتلاحقها، وتحديد نقاط الخلاف، وإشعار كل واحد منهما الآخر بالجدية والاهتمام والرغبة في تحصيل الفائدة والوصول إلى نتيجة جيدة من هذا الحوار، كما أنه يعين على هدوء الطرفين المتحاورين، ويتيح لهما حسن الفهم ووضوح الرؤية، والقدرة على استعراض الآراء والتصورات والحجج والبراهين، ومن ثم إتمام الحوار إلى نهايته.

ولا شك أيضاً أن حسن الفهم مطلب رئيس في الحوار. ولذا نجد ابن القيم يقول: " لما كان المقصود بالخطاب دلالة السامع وإفهامه مراد المتكلم من كلامه، وأن يبين له ما في نفسه من المعاني، وأن يدله على ذلك بأقرب الطرق، كان ذلك موقوفاً على أمرين:

١ - بيان المتكلم.

٢ - تمكن السامع من الفهم.

فإن لم يحصل البيان من المتكلم، أو حصل ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بيَّن المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده، ولم يعلم السامع معاني تلك الألفاظ لم يحصل له البيان، فلابد من تمكن السامع من الفهم وحصول الإفهام من المتكلم "[1].

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ج١/ ص٥٠.

سادساً: اجتناب المراء والجدل:

ينبغي على المحاور أن يجتنب في حواره المراء والجدل واللدد والخصومة، وذلك لورود النصوص الشرعية في ذم ذلك والحذر منه، ولما يترتب عليه من آثار سيئة على المتحاورين، منها: ذهاب نور العلم، وتقسية القلوب، وتوريث الأحقاد والضغائن في الصدور، وطبع الحوار بطابع التعنت والعناد في قبول الحق.

يقول النبي ﷺ: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"[(١)]، ويقول في الحث على ترك المراء حتى ولو كان الإنسان محقاً: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً"[(٢)].

وقد ذم علماء السلف رحمهم الله المراء والجدل، يقول - على سبيل المثال - عبد العزيز الماجشون: "احذروا الجدل فإنه يقربكم إلى كل موبقة ولا يسلمكم إلى ثقة"[(٣)]، ويقول الإمام مالك بن أنس: "المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد، ويقسي القلب، ويورث الضغن"[(٤)]، ويقول الإمام الشافعي: "المراء في

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، الحديث رقم (٢٢١٦٤)، ج٣٦/ص٤٩٣. وابن ماجه في سننه في باب (اجتناب البدع والجدل)، الحديث رقم (٤٨)، ص٢٢. والترمذي في سننه في كتاب (تفسير القرآن)، الباب (٤٣)، الحديث رقم (٣٢٦٦)، ج٥/ص٣٧٨ - ٣٧٩، وقال: "حديث حسن صحيح".

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب (الأدب)، باب (في حسن الخلق)، الحديث رقم (٤٨٠٠)، ج٤/ص٢٥٣. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٧٣).

(٣) الفقيه والمتفقه، ج١/ص٢٣٢.

(٤) ترتيب المدارك - للقاضي عياض، ج١/ص١٧٠.

العلم يُقسي القلب ويورث الضغائن"[1].

والجدل المذموم هو الجدل لأجل الخصومة والتمويه وتلبيس الحق بالباطل ودفع الحق ودحضه. أما الجدل الذي يراد به إحقاق الحق ونصره وإبطال الباطل وبيان فساده فهو جدل محمود مرضٍ. يقول الخطيب البغدادي: " الجدال المذموم وجهان؛ أحدهما: الجدال بغير علم، والثاني: الجدال بالشغب والتمويه؛ نصرة للباطل بعد ظهور الحق وبيانه، قال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]. وأما جدال المحقين فمن النصيحة في الدين، ألا ترى إلى قوم نوح عليه السلام حيث قالوا ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وجوابه لهم ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ [هود: ٣٤]، وعلى هذا جرت سنة رسول الله ﷺ"[2]، ويقول أيضاً: "وثبت أن الجدال المحمود هو: طلب الحق ونصره وإظهار الباطل وبيان فساده، وأن الخصام بالباطل هو اللدد الذي قال عنه النبي ﷺ: " أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم"[3]"[4].

ويقول أبو المعالي الجويني: " من الجدال ما يكون محموداً

(١) مناقب الإمام الشافعي - للبيهقي، ج٢/ ص١٥١.

(٢) الفقيه والمتفقه، ج١/ ص٢٣٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (المظالم والغضب)، الباب (١٥)، الحديث رقم (٢٤٥٧)، ج٥/ ص١٠٦. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (العلم)، باب (الألد الخصم)، ج١٦/ ص٢١٩.

(٤) الفقيه والمتفقه، ج١/ ص٢٣٥.

مرضياً، ومنه ما يكون مذموماً محرماً. فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق أو تحقيق العناد، أو ليُلْبس الحق بالباطل، أو لما لا يطلب به تعرُّفٌ ولا تقربٌ، أو للماراة وطلب الجاه والتقدم، إلى غير ذلك من الوجوه المنهي عنها، وهي التي نص الله سبحانه في كتابه على تحريمها، فقال: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزّخرُف: ٥٨]... وأما الجدال المحمود المدعو إليه فهو الذي يحقق الحق، ويكشف عن الباطل، ويهدف إلى الرشد مع من يرجى رجوعه عن الباطل إلى الحق، وفيه قال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: ١٢٥][(١)]".

سابعاً: التواضع:

التواضع أدب رفيع من آداب العلماء وصفة من الصفات الكريمة التي حث عليها الإسلام، وحذر من ضدها، يقول النبي ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"[(٢)]، فالتواضع صفة إيمانية محمودة، والكبر صفة مذمومة حتى مع الكافرين؛ لأنها لا تليق إلا بالله المستغني عن كل أحد. يقول ﷺ عنه سبحانه: " العز إزاره والكبرياء رداؤه"[(٣)].

فعلى المحاور أن يتحلى بالتواضع واجتناب كل ما يدل على

(١) الكافية في الجدل، ص٢٢ - ٢٣.
(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان)، باب (تحريم الكبر)، ج٢/ ص٨٩.
(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الكبر)، ج١٦/ ص١٧٣.

الكبر والغرور والإعجاب بالنفس، ويتحقق ذلك بأمور عدة، منها:

١ - اجتناب المحاور تزكية نفسه والثناء عليها، وفي هذا يقول تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النّجم: ٣٢].

٢ - اجتنابه الحديث عن علمه، وأعماله، وإنجازاته، ومؤلفاته، ونحو ذلك مما يتعلق بشخصه.

٣ - اجتنابه العناد في قبول الحق إذا تبين له، وغمط الطرف الآخر حقه، أو ازدراءه بأي قول أو فعل. يقول النبي ﷺ: " الكبر بطر الحق وغمط الناس"[(١)].

٤ - اجتنابه استخدام ضمير المتكلم إفراداً أو جمعاً، فلا يقول: فعلتُ، وقلنا، وأنا، وفي رأيي، ودرسنا، وفي تجربتنا، ونحو ذلك من الألفاظ، فهذا ثقيل على نفوس المستمعين، وفيه إعجاب بالنفس، وقد يؤثر على الإخلاص والقصد، والنفوس جُبلت على محبة المتواضعين والإقبال عليهم وأخذ الحق عنهم، كما جُبلت على النفرة من المتعالين المتعاظمين والبعد عنهم. ومن الأفضل أن يبدل تلك الألفاظ بضمير الغيبة، فيقول مثلاً: يبدو للدارس، وتدل تجارب العاملين، ويقول المختصون، وفي رأي أهل الشأن، ونحو ذلك[(٢)].

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان)، باب (تحريم الكبر)، ج٢/ ص٨٩.

(٢) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام - للدكتور صالح بن حميد، ص٩.

ثامناً: الصدق:

الصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه، وقد جعل الله ـ عز وجل ـ الاستمساك بهذا الخلق في كل شأن وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في حكم دعامة ركينة في خلق المسلم، وفضيلة أساسية يجب الالتزام بها امتثالاً لأمره سبحانه بها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وامتثالاً لأمره ﷺ في قوله: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة" الحديث[1].

والصدق في الأقوال من شأنه أنه يُؤدي بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال. ولذا نقول: إن من مقتضيات الصدق التزام المحاور بالمصداقية العملية لآرائه وأفكاره التي يطرحها أثناء الحوار، فإذا كان الحوار حول قضية عملية فينبغي أن يكون قدوة حسنة في تطبيق ما يحاور من أجله ويدافع لإثباته. والعمل يُعلِّم ما لا يعلِّمه القول، بل إنه يَقْلب الأفكار النظرية إلى حقائق عملية ملموسة، يتأثر بها من يراها قبل أن يسمع من يتكلم عنها، فمن فرط في العمل بما يحاور لأجله وقصَّر في تنفيذه دل ذلك منه على اضطراب وعدم يقين، وكان أضعف في حجته وأعجز عن إقناع غيره[2].

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب)، الباب (٦٩)، الحديث رقم (٦٠٩٤) ج١٠/ ص٥٠٧. وكذا مسلم في صحيحه واللفظ له في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) ج١٦/ ص١٦٠.

(٢) انظر: الحوار في القرآن - للدكتور سناء عابد، ص٩٣٥.

ونصوص الشريعة توجب على المسلم تطابق القول والاعتقاد، كما توجب تطابق القول والعمل، وتحظر الانفصام بينهما، حتى ولو كان هذا الانفصام على المستوى الشخصي ناهيك عن المستوى العام. يقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصَّف: ٢-٣].

تاسعاً: الأمانة:

الأمانة من أهم المبادئ الخلقية التي ينبغي أن يتصف بها المحاور؛ لأنها من الدين. يقول عز وجل في الحث عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ويقول النبي ﷺ مؤكداً على هذا المبدأ الخلقي ومبيناً أهميته: "لا إيمان لمن أمانة له"(١).

ومفهوم الأمانة في نظر الإسلام واسع الدلالة، فهو يرمز إلى معان شتى، مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يُوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه عز وجل.

وتقتضي الأمانة في مقامنا هذا أموراً عدة، منها:

١ - أن ينسب المحاور الأقوال والأدلة التي ينقلها على سبيل الاستشهاد بها إلى أصحابها، وأن يتحرى الدقة في ذلك.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ج٣/ ص١٣٥. وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) برقم (٧٠٥٦)، ج٦/ ص١٢٣.

٢ - أن يجتنب أسلوب الإيهام والغموض أو إخفاء الحقيقة أو جزء منها، أو كتم شيء من العلم وطمسه مما له علاقة بموضوع المحاورة بقصد التعمية على الطرف الآخر والتلبيس عليه.

٣ - عدم بتر النصوص التي يوردها أثناء المحاورة، كأن ينقل نصاً طويلاً فيجتزئ منه ما يصلح له ويدلل على ما يريد، ويُغفل الباقي. والواجب في هذه الحالة أن ينقل النص كاملاً حتى يشاركه الطرف الآخر فيما استنتجه، فإما أن يقره، وإما أن يخالفه في الفهم.

٤ - أن يستدل بالنصوص الصحيحة والأدلة الواضحة، والبراهين الثابتة، والإحصاءات الدقيقة، وألا يُعوِّل في ذلك على الشائعات والظنون والأوهام.

٥ - ألا يتحدث بحديث ليس عنده فيه علم، وألا يتردد إذا سُئل عن مسألة لا يعلم فيها شيئاً أن يقول: لا أدري. وعلى هذا كان سلف الأمة وعلماؤها ومفكروها المخلصون.

الخاتمــة

أحمد الله عز وجل على تفضله عليَّ بإنجاز هذا البحث، وأوصي في خاتمته بالأمور الآتية:

أولاً: مناشدة الدول والحكومات الإسلامية بضرورة اتخاذ الإجراءات السريعة المناسبة لوضع الحوار موضع التنفيذ بوصفه الأسلوب الحضاري الأمثل لتكوين علاقات سلمية ناجحة بين الأفراد في المجتمع الواحد، وبين المجتمعات بعضها مع بعض.

ثانياً: السعي الحثيث للم شمل المسلمين وتحقيق وحدتهم، والقضاء على كل عوامل الفرقة والاختلاف بينهم، وتأكيد ثقتهم بدينهم وثقافتهم ومستقبلهم، والاعتزاز بتاريخهم وتراثهم الحضاري.

ثالثاً: استحداث مقرر دراسي في مختلف المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي باسم (ثقافة الحوار)، لترسيخ مفهوم الحوار وأهميته وأسسه وآدابه لدى أبناء المسلمين.

رابعاً: استثمار وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة لنشر ثقافة الحوار السليم بين أفراد المجتمع.

خامساً: التأكيد على ضرورة الالتزام بمبدأ التسامح، وسلوك منهج الوسطية في تَمثُّل الإسلام وتطبيقه اعتقاداً وعبادة؛ سلوكاً ومعاملة.

سادساً: الاهتمام بتطوير وسائل الدعوة الإسلامية بما يتفق مع مستلزمات العصر الحديث، ضمن ضوابط الإسلام ومبادئه العامة.

سابعاً: العمل على إعداد دعاة أكفاء، يتقنون اللغات الأجنبية إعداداً خاصاً، وتزويدهم بكل أوعية المعلومات العلمية المتاحة التي تعينهم على التعامل مع واقع عصرهم، ومخاطبة غير المسلمين بروح علمية دعوية منفتحة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم** - وقد استعنت بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضع: محمد فؤاد عبدالباقي، دار القلم - بيروت.

٢ - **إحياء علوم الدين** - لأبي حامد الغزالي، ط دار الفكر العربي - القاهرة.

٣ - **آداب الشافعي ومناقبه** - لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: عبد الغني عبدالخالق، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٤ - **الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي** - للدكتور محمد رأفت سعيد، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار العلم - جدة.

٥ - **أصول الحوار وآدابه في الإسلام** - للدكتور صالح بن حميد، دراسة موجزة منشورة على موقع مكتبة صيد الفوائد الإسلامية بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٤٢٤هـ.

٦ - **إعلام الموقعين عن رب العالمين** - لابن قيم الجوزية، تقديم وتعليق: طه عبدالرؤوف سعد، ط عام ١٩٧٣م، دار الجيل - بيروت.

٧ - **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان** - لابن قيم الجوزية، ط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي - بيروت.

٨ - **الأنبياء في القرآن** - لسعد صادق محمد، ط الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، دار اللواء - الرياض.

٩ - **تجديد الفكر الإسلامي** - للدكتور محسن عبدالحميد، ط عام ١٩٨٥م، دار الصحوة للنشر - القاهرة.

١٠ - **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** - لبدر الدين بن جماعة، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

١١ - **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك** - للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق: د. أحمد بكير محمود، ط دار مكتبة الحياة - بيروت.

١٢ - **تفسير القرآن العظيم** - للحفاظ عماد الدين بن كثير، ط عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار المعرفة - بيروت.

١٣ - **التفسير الكبير** - للفخر الرازي، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤ - **تفسير المنار** - لمحمد رشيد رضا، ط دار المعرفة - بيروت.

١٥ - **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** - لعبدالرحمن ابن ناصر السعدي، ط عام ١٤٠٤هـ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.

١٦ - **جامع بيان العلم وفضله** - لابن عبدالبر النمري القرطبي، ط دار الفكر - بيروت.

١٧ - **الجامع لأحكام القرآن** - لأبي عبدالله محمد القرطبي، ط الخامسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٨ - **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** - لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط مكتبة المدني - جدة.

١٩ - **الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية** - لخالد المغامسي، ط

الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني - الرياض .

٢٠ - **الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية** - لأحمد الصويان، ط الأولى ١٤١٣هـ، دار الوطن - الرياض.

٢١ - **الحوار الذات والآخر** - للدكتور عبدالستار الهيتي، ط الأولى عام ١٤٢٥هـ، الكتاب التاسع والتسعون ضمن سلسلة (كتاب الأمة) بدولة قطر.

٢٢ - **حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل** - للدكتور موسى الإبراهيم، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار الأعلام، عمان - الأردن.

٢٣ - **الحوار في القرآن** - للدكتورة سناء محمود عابد، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الأندلس الخضراء - جدة.

٢٤ - **الحوار في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دروس ودلالات** - للدكتور محمد الشايع، وهو بحث مقدم لمؤتمر (الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي) المنعقد في جامعة الشارقة في الفترة ١٦-١٨/ ٤/ ٢٠٠٧م.

٢٥ - **الحوار من منظور إسلامي** - للدكتور عباس الجراري، ط عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - الرباط.

٢٦ - **درء تعارض العقل والنقل** - لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

٢٧ - **سلسلة الأحاديث الصحيحة** - لمحمد ناصر الدين الألباني، ط عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

٢٨ - **سنن أبي داود** - للحافظ أبي داود سليمان السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط دار إحياء التراث العربي.

٢٩ - **سنن الترمذي** - للحافظ أبي عيسى محمد الترمذي، ط عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٠ - **السيرة النبوية**- لعبد الملك بن هشام المعافري، تقديم وتعليق: طه عبدالرؤوف سعد، ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

٣١ - **صحيح الجامع الصغير وزيادته** - لمحمد بن ناصر الدين الألباني ط الثانية عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٢ - **صحيح مسلم بن الحجاج القشيري** بشرح يحيى بن شرف النووي، ط دار الريان - القاهرة.

٣٣ - **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة** - لعبدالرحمن بن حسن الميداني، ط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار القلم - دمشق .

٣٤ - **العقد الفريد** - لأحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، ط الأولى عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، المكتبة العصرية - بيروت.

٣٥ - **فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري** - لابن حجر العسقلاني، ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.

٣٦ - **الفرق بين النصيحة والتعيير** - لابن رجب الحنبلي، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، المكتبة القيمية - القاهرة.

٣٧ - **الفقيه والمتفقه** - للخطيب البغدادي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٨ - **الفكر الإسلامي في تطوره** - للدكتور محمد البهي، ط الثانية عام ١٩٨١م، مكتبة وهبة - القاهرة.

٣٩ - **في ظلال القرآن** - لسيد قطب، ط الثالثة عشرة ١٩٨٧ م - ١٤٠٧هـ، دار الشروق - بيروت.

٤٠ - **القصص القرآني تفسير اجتماعي** - للدكتور راشد البرواي، ط الأولى ١٩٧٨م، دار النهضة العربية - القاهرة.

٤١ - **الكافية في الجدل** - لأبي المعالي الجويني، تحقيق: د. فوقية حسين، ط عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة.

٤٢ - **الكليات** - لأبي البقاء الكفوي، ط دار الطباعة العامرة بمصر - القاهرة.

٤٣ - **لسان العرب** - لجمال الدين بن منظور، ط الثالثة عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٤ - **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين - مكة المكرمة.

٤٥ - **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** - لمحمد حميد الله، ط السادسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار النفائس - بيروت.

٤٦ - **مختصر الصواعق المرسلة** - لابن قيم الجوزية، ط مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

٤٧ - **المدخل إلى السنن الكبرى** - للحافظ أبي بكر البيهقي، تحقيق:

د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

٤٨ - **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري** - للدكتور محسن عبدالحميد، ط الأولى عام ١٤٠٤هـ، الكتاب السادس ضمن سلسلة (كتاب الأمة) بدولة قطر.

٤٩ - **المستدرك على الصحيحين** - لمحمد الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط الأولى ١٤١١هـ -١٩٩٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٠ - **مسند الإمام أحمد بن حنبل** - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط الأولى عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥١ - **المصباح المنير** - لأحمد الفيومي المقري، ط عام ١٩٨٧م، مكتبة لبنان - بيروت.

٥٢ - **المعجم الوسيط** - لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٣ - **مناقب الشافعي** - لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، دار التراث - القاهرة.

٥٤ - **مناهج الجدل في القرآن الكريم** - للدكتور زاهر الألمعي، ط الثالثة ١٤٠٤هـ، مطابع الفرزدق - الرياض.

٥٥ - **منهاج السنة النبوية** - لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط الثانية ١٤١١هـ -١٩٩١م، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

٥٦ - **الموافقات في أصول الشريعة** - لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، ط المكتبة التجارية - مصر.